١- الصفات الخبرية الذاتية

١- الوجـــه:

جاء ذكر الوجه فى التنزيل فى مواضع عديدة منها :

- ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ (١) .
- ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ (٢) .
- ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ (٣) .

وغير ذلك كثير ، ومن الأخبار ما روى ابن خزيمة عن جابر قال لما نزل قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ (٤) ، قال النبى ، ﷺ ؛ «أعوذ بوجهك» ثم قال : «و يلبسكم شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعض» قال ، عليه السلام : «هاتان أهون وأيسر» (٥) .

كما روى عن عتبان بن مالك قال : قال رسول الله ، ﷺ ، : «فإن الله قد حرم على النار أن تأكل من قال : لا إله إلا الله ، يبتغى به وجه الله» (٦) . وهناك روايات أخرى جمعها البيهقى (ت ٤٥٨هـ) فى «الأسماء والصفات» (٧) ، والرازى (ت٦٠٦هـ) فى «أساس التقديس» (٨) .

قال أهل السنة أن الوجه من الصفات ، «ووجهه من صفاته لا تستقل إلا به ، فإذا بقي وجهه فمن شرط بقاء وجهه بقاء ذاته ، لأن الصفة لا تقوم إلا بموجود ، ولا يكون باقيًا إلا بوجود أوصافه الذاتية الواجبة له ، ففى بقاء الوجه بقاء ذاته وبقاء صفاته – وفائدة تخصيص الوجه بالذكر هنا أنه لا يعرف وجوب وجهه إلا بالخبر والنقل دون العقل ، فخص الوجه بالذكر ؛ لأن فى بقاء الوجه بقاء الحق بصفاته» (٩) .

ومن أهل السنة من لا يرى الوجه صفة فيقول لو أراد الصفة لقال : ويبقى وجه

---

(١) سورة الروم : آية ٣٨ .
(٢) سورة الرحمن : آية ٢٧ .
(٣) سورة القصص : آية ٨٨ .
(٤) سورة الانعام : آية ٦٥ .
(٥) البخارى ، فتح البارى : ١٣ / ٤٠٠ ، الحديث رقم (٧٤٠٦) .
(٦) البخارى ، فتح البارى : ٣ / ٧٢ ، الحديث رقم (١١٨٦) .
(٧) البيهقى : الأسماء والصفات ؛ ص ٣٨٣ – ٣٩٤ .
(٨) الرازى : أساس التقديس ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ .
(٩) القشيرى : لطائف الإشارات ؛ ٣ / ٥٠٨ .

ربك ذى الجلال والإكرام ، ولكنه قال : « ويبقى وجه ربك » أى ويبقى ربك ، ولذلك قال : « ذو الجلال والإكرام » بالرفع ؛ لأنه نعت الوجه (١) .

أما المعتزلة فلهم آراء مختلف تتراوح بين التفسير والتأويل ، فيقول القاضى عبد الجبار (ت ٤١٥هـ) : « المراد به كل شئ هالك إلا ذاته ، أى نفسه ، والوجه بمعنى الذات مشهور فى اللغة ، يقال : وجه هذا الثوب جيد ، أى ذاته جيدة وبعد ؛ فلو كان الأمر على ما ذكروه ، أى المشبهة ، للزم أن ينتفى كل شئ منه إلا الوجه ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً » (٢) .

وحقيقة نذكر آراء المعتزلة هنا لإيماننا بأن التعددية الفكرية فى هذا المجال نوع من الثراء ، لا ينبغى تفسيره بأنه انحراف أو خروج عن المألوف أو شذوذ عن جانب الصواب ، وكل من ينظر إلى آراء الفرق فى تعنت لا يفهم روح الإسلام السمحة فى التعددية الفكرية والتى أود أن أشير إليها ، سيما فى قضية التنزيه ، لنرى مدى سعة ورحابة أفق سلفنا الإسلامى ، بما يتناقض فى وجوه مختلفة فى عصرنا الحالى .

المهم اختلفت آراء المعتزلة حول تفسير الوجه فقالوا :

١- فريق بأن الوجه هو هو الله ، ولا فرق بين الذات ، وتتصف به من صفات ، وهو رأى لأبى **الهذيل العلاف** .

٢- فريق آخر منهم قال بأن المقصود بالوجه الله ، **تعالى** ، وكانت مرجعيتهم فى ذلك لغوية ، فقالوا بأن العرب تقيم الوجه مقام الشئ ، فيقول القائل : لولا وجهك لم أفعل ، أى لولا أنت لم أفعل ، وهذا الرأى يتفق مع موقف أكثر أهل السنة ، وهو نفسه رأى أغلب المعتزلة البصريين منهم والبغداديين، واشتهر عن النظام(٣) منهم.

٣- الفريق الثالث من المعتزلة لم يعقلوا لله وجهًا قبل نزول النص بذلك ، ولذلك أنكروا الصفة مع ورود النص بها ، ولم يضيفوا تفسيراً آخر للنص أو تأويلاً له ، وهو ميل حقيقى لفكرة النفى التام ، بقصد التنزيه عن الجسمية ، وهم العبادية

---

(١) البغدادى : أصول البغدادى ؛ ص ١١٠ .

(٢) القاضى عبد الجبار : شرح الأصول ؛ ص ٢٢٧ .

(٣) إبراهيم بن سيار بن هانئ النظام ت ٢٣١ هـ من كبار مشايخ المعتزلة وله آراء انفرد بها وفرقة تسمى النظامية .

أصحاب عباد [1] ، وهو رأى له خلفيته الفلسفية ، أو لنقل ورثوه من جهم وأصحابه [2] .

ويقول الرازى نافيًا الجسمية ، وأن تكون صفة الوجه بمعنى العضو والجارحة من وجوه :

الأول : لو كان الوجه هو العضو للزم أن يفنى جميع الجسد والبدن وأن تفنى العين التى على الوجه ، وأن لا يبقى إلا مجرد الوجه ، وقد التزم بعض حمقى المشبهة ذلك وهو جهل عظيم .

الثانى : قوله تعالى : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [3] ظاهره يقتضى وصف الوجه بالجلال والإكرام ؛ ومعلوم أن الموصوف بالجلال والإكرام ، هو الله ، تعالى ، وذلك يقتضى أن يكون الوجه ، كناية عن الذات ، وهو من **قبيل التفسير البيانى للقرآن الكريم** .

الثالث : أما قوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [4] وليس المراد من الوجه ههنا ، هو العضو المخصوص ، فإنا ندرك بالحس ، أن العضو المسمى بالوجه ، غير موجود فى جميع جوانب العالم ؛ وكذلك فلو حصل ذلك العضو فى جميع الجوانب ، لزم حصول الجسم الواحد دفعة واحدة ، فى أمكنة كثيرة ، وذلك لا يقوله عاقل .

الرابع : استحالة حمل قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [5] وقوله : ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ [6] على الظاهر ، لأن وجهه ، تعالى ، على مذهبهم ، قديم أزلى، والقديم الأزلى لا يراد ؛ لأن الشئ الذى يراد : معناه أنه يراد حصوله ودخوله فى الوجود ، وذلك فى القدم الأزلى ؛ محال .

ثم كيف يعبدون الله ويريدون وجهه وهو غضبان عليهم ؛ والمقصود بإرادة الوجه ، رضى الله عليهم ، وعلى هذا فليس المراد من الآية الجارحة والمراد رضى الله .. وهو تأويل قال به أهل السنة .

---

(١) عباد سليمان الضميرى العمرى ، أبو سهل من مشايخ المعتزلة من الطبقة السابعة .

(٢) انظر الاشعرى : المقالات ١ / ٢٤٤ .

(٣) سورة الرحمن : آية ٢٧ .

(٤) سورة البقرة : آية ١١٥ .

(٥) سورة الكهف : آية ٢٨ .

(٦) سورة الليل : آية ٢٠ .

الخامس : ويدل على أن الوجه مقصود به رضى الله هو قوله ، ﷺ ؛ « أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها ؛ إذا كانت فى قعر بيتها » . فلوكان جارحة لاستوى الحال فى القرب والبعد ، ولم يختلف لو كانت فى بيتها أوفى غيره . وعلى ذلك التأويل بالرضى أصح وأفضل [١] .

وعلى هذا يمكن القول بأن أهل السنة الأوائل كالأشعرى [٢] والباقلانى [٣] والبيهقى [٤] أثبتوا الصفة بلا تأويل ، وأكثر أهل السنة قالوا بأنها كناية عن الذات أو رضى الله ، عز وجل [٥] . فما هى الأدلة التى تدل على أن الوجه كناية عن الذات أو الرضى ؟

أول أهل السنة الوجه بالذات من وجوه ؛ وأعتمدوا على العقل واللغة .

١- فالمرئى من الإنسان الوجه ، وبه يتحقق وجوده ويعرف ويتميز ، ولذلك حسن جعل الوجه اسما لكل الذات .. وسادة القوم يسمون وجوه القوم ؛ لأن بهم يتم تصريف الأمور على وجهها .

٢- الرأس هى جماع العقل والحس والفهم والفكر ، ولذلك حسن إطلاق اسم الوجه على كل الذات .

٣- يمتاز بحسن التركيب واللطافة ، وتظهر عليه التأثيرات المختلفة القلبية ، ولذلك حسن إطلاق لفظ الوجه على كل الذات .

أما إن الوجه كناية عن الرضى ، فكل الميول والنوازع النفسية من كره وحب وإرادة ورضا تظهر على الوجه أو تبدأ أعراضها منه ، ولذلك حسن جعل لفظ الوجه كناية عن الرضى ..

وبعد هذا يلاحظ على كلام الرازى وحججه أنه **استخدم القياس العقلى** ، وهو قياس الغائب على الشاهد ، وهو يجوز فى بعض الأشياء لا كلها ، وإن جاز هنا فهذا لا يعنى الإسراف فى استخدامه [٦] .

---

(١) الرازى : أساس التقديس ؛ ص ١٥٤ ، ١٥٥ .
(٢) الأشعرى : الإبانة ، ص ٩٧ .
(٣) الباقلانى التمهيد ؛ ص ٣٠٠ .
(٤) البيهقى : الأسماء والصفات ؛ ص ٣٨٤ .
(٥) الآمدى : غاية المرام ؛ ص ١٤٠ .
(٦) المصدر السابق ، ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

وعلى هذا فقول رسول الله ، ﷺ : **«إنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت عليه»** [1] فيها تخريجات ثلاث :

١- **أولهـا** : على مذهب السلف أنها صفة لله ؛ عز وجل ؛ ثابتة له يقصد بها العمل الصالح ، ولا مجال لأخذها على ظاهرها بمعنى الجارحة .

٢- **وثانيها** : يقصد بها الذات .

٣- **وثالثها** : يقصد بها رضى الله .

وكل هذه التأويلات مقبولة وصحيحة ، والخلاف لا يكون إلا مع أصحاب المناهج الضعيفة من الحشوية وأمثالهم .

* * *

٢-العـــين:

وردت هذه الصفة فى آيات كثيرة منها قوله ؛ تعالى :

- ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي (٣٩) ﴾ [2] .
- ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [3] .
- ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [4] .

وجاء فى السنة أن رسول الله ، ﷺ ، قام فى الناس فذكر الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم ذكر الدجال فقال : **«إنى لأنذركموه وما من نبى إلا أنذر قومه ، لقد أنذر نوح قومه ، ولكنى سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبى لقومه : إنه أعور ، وإن الله ليس بأعور»** [5] .

وروى الشيخان عن ابن عباس ؛ رضي الله عنهما ؛ أنه ذكر الدجال عند النبى ، ﷺ ، فقال : **«إن الله لا يخفى عليكم ؛ إنه ليس بأعور - وأشار بيده إلى عينيه - وإن المسيح الدجال أعور عينه اليمنى ، كأن عينه عنبة طافية»** [6] . ونفى الإشارة نفى العور وليس إثبات الجارحة .

---

(١) الحديث ، متفق عليه ؛ رواه البخارى ٣/ ١٩٦ حديث رقم (١٢٩٥) ، ومسلم ٧٦١١/ رقم (١٦٢٨) بتمامه .

(٢) سورة طه : آية ٣٩ .

(٣) سورة الطور : آية ٤٨ .

(٤) سورة هود : آية ٣٧ .

(٥) رواه مسلم ١٨ / ٥٨ ، والترمذى ٤/ ٤٤٧ ح (٢٢٥٤) .

(٦) رواه البخارى ٧/ ٧٠٩ حديث (٤٤٠٢) ، ومسلم ٢/ ٢٢٧ ، حديث ٢٧٥ .

وللرازى كلام جيد فى فهم هذا الحديث ، فقال بأنه مشكل ، لأن ظاهرهُ يقتضى أن النبى ، ﷺ ، أظهر الفرق بين الإله ، تعالى ، وبين الدجال بكون الدجال أعور ، والله ليس بأعور وذلك بعيد ، وأعتقدُ أن الحديث من هذا الوجه يردُّ ، وليس بأقبح من حيث الدلالة والمتن أن يقارن الرسول ، ﷺ ، بين الله والدجال ! . .

وحتى المشبهة من أهل الحديث ، وأعنى بهم الحشوية ، الذين لا يتفكرون فى دلالات النص سيرفضون هذا الحديث من حيث المعنى لتهافته وضعفه .

يقول الرازى خبر الواحد إذا بلغ هذه الدرجة فى ضعف المعنى ، وجب أن يعتقد أن الكلام كان مسبوقًا بمقدمة ، لو ذكرت لزال هذا الإشكال : « إنه من البعد أن يصدر مثل هذا الكلام من الرسول ، ﷺ ؛ الذى اصطفاه الله ، تعالى ، لرسالته ، وأمرهُ ببيان شريعته » (١) .

وهذا كلام موفق جداً ، وما أكثر الأحاديث التى تحتاج النقد من حيث المعنى / المتن ؛ والتى أثارت كثيراً من المشاكل فى مجال العقيدة ، وهذه النصوص لا ينبغى إجراؤها على ظاهرها ؛ وهى قليلة جداً ولا تدعو لفزع أحد من العلماء لحرص الجميع على حديث رسول الله ، ﷺ ، وسلامته من الوضع والكذب .

وأهل السنة يتأولون مثل هذه النصوص ، فقوله تعالى : ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ أى حفظنا ورعايتنا ، وقوله : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ ﴾ أى بمرأى منى (٢) . واتفق مع أهل السنة والمعتزلة والزيدية فى هذا (٣) .

والحفظ والكلاءة تأويل مناسب للرؤية ، فالله يرى عبده رؤية حفظ وعناية ، وأضاف بعضهم تأويلاً آخر كأوليائنا ، وله ما يؤيده من التأويل من البيئة الصوفية ، وقد يكون المقصود بالأعين فى الآية السابقة أعين الملائكة ، الذين وكلهم الله لحفظ نوح ، عليه السلام ، ومن معه ، وهم الملائكة . الحفظة ؛ أو أعين الماء التى فجرها الله وأنبعها من الأرض فأغرقت من كفر بنوح ودعوته . وبعد فعلام يدل كثرة وجوه التأويل لهذه الآية ؟! . .

---

(١) الرازى : أساس التقديس ؛ ص ١٥٩ .
(٢) القشيرى : اللطائف ؛ ٢ / ١٣٥ .
(٣) القاضى عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ؛ ص ٢٢٧ .
(٤) الجوينى : الإرشاد ، ص ١٤٧ .

إن القرآن حمَّال أوجه ، ولا مانع من كثرة وجوه التفسير ، طالما كانت صحيحة ولها تخريج . فمن آمن إجمالاً ، ومن تعرض للتفصيل على حق ويمسك بسبب من أسباب النجاة ؛ بإذن الله رب العالمين .

ومن أثبت هذه الصفات كأعضاء ، فأثبت لله جارحةً هى عينان أو أذنان أو أنف . . إلخ من المجسمة ، فقد رد عليهم أهل السنة والمعتزلة بما ذكرنا فيه الكفاية ، إلا أننا الآن نستعرض مقالة أحد **كبار الزيدية وهو الإمام يحي** (ت ٧٤٩هـ) ، لنؤكد أن الأمة متفقة على مخالفة هؤلاء « الشرذمة من المجسمة والحشوية ، وهم طوائف من أهل الإلحاد والزندقة فيقول لهم : « هل تثبتون لله ، تعالى ، هذه الأعضاء وغيرها من سائر الأوصال حتى يكون خلقه تامة كالآدمى ، أو لا تثبتون له إلا ما ورد فى القرآن من الأعضاء لا غير ؟!

- **فإن قالوا بالأول** ، فلا دلالة على ذلك لهم ؛ لأن مستندهم فى إثباتها ، ليس إلا ما ورد به الشرع ، ولم يرد إلا بما ذكرناه ؛ كالرأس والبطن والظهر ، وغير ذلك من تمام الخلقة وكما لها .
- **وإن قالوا بالثانى** ؛ وجب الاقتصار على ما ورد به القرآن دون غيره ، وعلى هذا يلزم إثبات الوجه فيه أعين كبيرة ، وشبح فيه أيدى كبيرة ، من غير سائر الأوصال ! . . وعلى هذا يكون الله ، تعالى ، على صورة قبيحة لامثال لها فى العقول من السماجة ، وقبح المنظر !! . . فتعالى الله عن نكر هذه المقالة ، وشنع هذه الجهالة[1] .

* * *

٣- اليد :

جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ **مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾ [3] .

---

(١) يحيى بن حمزة : الرائق ، ورقة ٣١ و ، ٣١ ظ .

(٢) سورة المائدة : آية ٧٥ .

(٣) سورة المائدة : آية ٦٤ .

وجاء فى الخبر عن أبى هريرة ؛ رضي الله عنه ؛ أن النبى ؛ ﷺ ؛ قال : «**لما خلق الله ، تعالى ، الخلق كتب بيده على نفسه : إن رحمتى سبقت غضبى**» (١) .

أثبت أهل السنة سلفًا هذه الصفة إلا أنهم أجمعوا على أنه غير مقصود منها ظاهرها ، وبدا أهل السنة أصحاب اتجاه مقتصد ومعتدل يواجه المشبهة ويتجلى ذلك عند النظر فى موقف بعض المحدثين كالدارمى وابن خزيمة ، وموقف البيهقى والقشيرى مثلاً . (٢)

وإن كان متقدمو أهل السنة كالأشعرى والباقلانى (٣) رفضوا التأويل فقد مال إليه متأخروهم كالرازى والآمدى ، ففسروها بالقدرة والنعمة (٤) .

وقد كان يرى الأشعرى أن التأويل دعوى بغير دليل ، فلا يصحبها كتاب أو خبر أو قياس أو لغة ، وهى نفسها الأدوات والمصادر التى احتج بها الخلق (٥) .

يقول الرازى : لفظ اليد حقيقة فى هذه الجارحة المخصوصة ، إلا أنه يستعمل على سبيل المجاز ، فى أمور غيرها :

فالأول : إنه يستعمل لفظ اليد فى القدرة ، يقال : يد السلطان فوق يد الرعية . أي: قدرته غالبة على قدرتهم ، والسبب فى حسن هذا المجاز : أن كمال هذا العضو ؛ إنما يظهر بالصفة المسماة القدرة على اليد .

وقد يقال : هذه البلدة فى يد الأمير ، وإن كان الأمير مقطوع اليد . ويقال : فلان فى يده الأمر والنهى ، والحل والعقد . والمراد ما ذكرناه (٦) .

والثانى : إن اليد قد يراد بها النعمة . وإنما حسن هذا المجاز ؛ إطلاق لاسم السبب على المسبب (٧) .

والثالث : قد يذكر لفظ اليد صلة للكلام على سبيل التأكيد ، كقولهم يداك أوكتا ،

---

(١) متفق عليه ، رواه البخارى : ١٣ / ٤١٥ ، حديث (٤٧٢٢) ، ومسلم ١٧ / ٦٨ حديث (١٤ ، ١٦) .
(٢) الدرامى : فى الرد على المريسى ، ص ٣٨٤ وابن خزيمة : التوحيد ، ص ٥٣ .
(٣) الأشعرى : الربانة ، ص ٩٧ .
(٤) الرازى : الأساس ، ص ١٦٤ ، الباقلانى : التمهيد ، ص ٢٩٧ ، والآمدى : غاية المرام ، ص ١٣٩ .
(٥) انظر الأشعرى : الإبانة : ٩٥ – ١٠٦ .
(٦) الرازى : أساس التقديس ؛ ص ١٦٢ .
(٧) المصدر السابق .

وقريب منه قوله تعالى : ﴿ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴾ (١) ، وقوله : ﴿ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ (٢) فإن النجوى الرحمة ، ولا يكون لها هذان العضوان المسميان باليدين (٣) .

لقد كان هدف وغاية الخلف والسلف من التنزيه هو حراسة العقيدة من التشبيه والتلبيس والتمويه الذى يستخدمه الحشوية ، فقد ظنوا فى ظاهر الألفاظ جوارح ، فقالوا بإثبات بلا تكييف ! وهو عين التجسيم ولكنهم لا يعلموا .

* * *

٤- اليمين والقبضة :

جاء ذكر اليمين فى القرآن قال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (٤) .

وروى البخارى بسنده إلى أبى هريرة ، رضي الله عنه ، عن النبى ، ﷺ ؛ قال : « يقبض الله ، تبارك وتعالى ، الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض » (٥) .

وفسر القشيرى هذه الآية التى ذكرناها فى كتابه اللطائف بقوله : « ما عرفوه حق معرفته ، وما وصفوه حق وصفه ، وما عظموه حق تعظيمه ، فمن اتصف بتمثيل ، أو جنح إلى تعطيل حاد عن السنة المثلى ، وانحرف عن الطريقة الحسنى ، وصفوا الحق بالأعضاء ، توهموا فى نعته الأجزاء ، فما قدروه حق قدره ، فالخلق فى قبضة قدرته ، والسموات مطويات بيمينه ، ويمينه قدرته ؛ لأنه أقسم أن يفنى السموات ويطويها فهو قادر على ذلك » (٦) .

هكذا صرف أهل السنة ظاهر الآية عن أن تكون القبضة أو اليمين جارحة ، والتفسير العقلى والبيانى للقبضة مما يجوز وهو الأولى ، فظاهر الآية يقتضى أن الأرض قبضة الله ، تعالى ، وذلك محال ، ففى ذلك ذم للحق ، تعالى ، فكيف تكون الأرض

---

(١) سورة المجادلة : آية ١٢ .
(٢) سورة الفرقان : آية ٤٨ .
(٣) الرازى : المصدر السابق .
(٤) سورة الزمر : آية ٦٧ .
(٥) البخارى : ١٣ / ٤٠٤ ، حديث (٧٤١٢) .
(٦) القشيرى : اللطائف ٣ / ٢٩١ .

بأوحالها ونجاساتها قبضته ، تعالى ؛ وفى ذلك قدح فى الذات بيِّنٌ ، كما أنه تقليل وتصغير لشأنه ، تعالى ؛ لمجرد كون قبضته هى الأرض .

وإذا كانت الأرض قبضته ، تعالى ، وهى مخلوقة لزم من ذلك كون قبضته مخلوقة ، وهو محال ؛ زد على ذلك ما يطرأ على الأرض من الزيادة والنقصان والتغير والاجتماع والافتراق والتعمير والتخريب ، فهل يجوز أن يكون الخالق كذلك ؟!.. إن أول من يرفض ذلك هم أولئك أصحاب الظاهر ولا شك فى ذلك ، فإن لم تأبه عقولهم أباه ذوقهم وفطرهم . إذًا تأويل وتفسير وتوضيح هذا اللفظ وصرفه عن الظاهر غير المقصود ضرورة تقتضيها مبادئ العقيدة وما ينبغى وصف الله به .

* **والتفسير الآخر هو التفسير البيانى** ، فإذا كان الظاهر من هذه الآية يذكر ويراد به احتواء الأنامل على الشئ ، فيمكن تفسيرها على أنها مجاز ، وهو مشهور ، فقد يذكر ويراد به كون الشئ فى قدرته وفى تصرفه وملكه ، وهو ما ارتضاه أهل السنة ، وذكرناه من قبل فى تفسير الآية ، فيقال : هذه البلدة فى قبضة السلطان ، والمراد ملكه وقدرته وتصرفه .

يذكر أهل السنة أن تأويل اليد أو القبضة أو اليمين لا ينفى كونها صفات ثابتة لله بالخبر والنص الصريح ، فتأويلها وفق السياق اللغوى والتفسير البيانى ، وحسب دلالة المعانى هو أيضا مما يعد إثبات لها .

وكذلك يقال فى **اليمين أنها تعنى القوة والقدرة من باب المجاز** ، وقد وردت فى أكثر من خبر ، من ذلك ما رواه ابن خزيمة ، فى كتابه « التوحيد وإثبات صفات الرب » ، وهو مشحون بالأحاديث الضعيفة والموضوعة ، عن النبى ، ﷺ ، وآله وسلم قال : « **إن أحدكم يتصدق بالتمرة من كسب طيب ، ولا يقبل الله إلا طيبًا ، فيجعلها فى يده اليمين ، ثم يربيها كما يربى أحدكم فلوه وفصيله حتى يصير مثل أحد** » (٣) .

يسمى العرب الجانب الأيمن باليمين ، لكونه أقوى الجانبين ، وتسمى الحلف باليمين ؛ لأنه يقوى عزم الإنسان على الفعل أو الترك قال الشاعر :

---

(١) الرازى : أساس التقديس ؛ ص ١٦٨ ، ١٦٩ .
(٢) الشهرستانى : الملل والنحل ؛ ١ / ١٢١ .
(٣) الحديث متفق عليه ، فى البخارى ومسلم .
(٤) سورة الحاقة : آية ٤٥ .

إذا مـــا رايةٌ رفـــعَتْ لمجـــدٍ تَلَقَّاها عـــرابةُ باليـــمين

إن تفسير قوله تعالى : ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [٤] قد يكون يمين المأخوذ به ، يقال : أخذت بيمين الصبى وذهبت به إلى المكتب ، وإن قصد الآخذ ، فهو على المجاز ، ويعنى به القوة والقدرة وعلى ذلك تخرج الأخبار الواردة فى هذا الباب [٥] . ومع احتمال اللفظ لوجوه التأويل فلا حرج من ذلك ، والله أعلم .

* * *

٥-الأصابع:

لم ترد هذه اللفظة فى كتاب الله ، ولكنها جاءت فى أكثر من خبر ، منها ما أخرجه مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ؛ رضي الله عنهما ، عن النبى ﷺ ؛ أنه قال : «**قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن**» [١] .

ويذهب أهل السنة إلى أنها كناية عن القدرة أو النعم أو الملك ، أو أصبع بعض خلقه ، والشاهد على ذلك أنه لم يذكر فى الخبر أصبعه ، بل جاء مطلقًا منكرًا ، ثم إن تأويلها بالنعمة يجرى على نسق تأويل اليد بالنعمة من قبل : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ يرفع ويضع وينفع ويدفع ، ولا يخلو أحد من نعم النفع ، وإن خلا عن نعم الدفع [٢] .

ويعزز صحة التفسير بأن اللفظ يعود إلى التوفيق أو الخذلان قول النبى ، ﷺ : «**يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك**» . [٣] لأن الإزاغة والإقامة مما يجريان على حسب القدرة ونفاذ المشيئة ، كما إنه خص القلوب بالذكر ، لأنها معظم ما فى الأبدان وبفسادها يفسد الجميع ، وهى محل الخواطر والإرادة والعزوم والنيات ، ومنها مقدمات الأفعال من ميول ونوازع ، والجوارح تابعة لها فى الحركات والسكنات ، ومثل ، تعالى ، قدرته القديمة بالأصابع لنعقل ذلك ، ولا يكون المرء أقدر على شئ منه على ما بين أصبعيه ، وجاءت اللفظة مثناة مع أن القدرة واحدة . لأنه أجرى ذلك على المعهود من لفظ المثل . [٤]

---

(١) مسلم فى صحيحه ؛ ١٦ / ٢٠٤ حديث رقم (٧٦٥٤) ، وغيره من كتب الحديث .
(٢) القشيرى : اللطائف ؛ ١ / ٤٣٧ .
(٣) رواه الترمذى ؛ ٥ / ٥٠٣ حديث (٣٥٢٢) .
(٤) انظر ابن فورك : مسشكل الحديث ؛ ص ٢٥٥ .

يقابل هذا التفسير المعقول البيانى ما يذكره ابن الجوزى عن بعض متأخرى الحنابلة ؛ حيث يقول أحدهم : « وغير ممتنع حمل الخبر على ظاهره فى إثبات الأصابع صفات راجعة إلى الذات ؛ لأنا لا نثبت أصابع هى جارحة ولا أبعَاض !.. فماذا رد عليه ابن الجوزى؟ قال :

« وهذا كلام مخبط ؛ لأنه إما أن يثبت جوارح وإما أن يتأولها ، وأما حملها على ظاهرها ، فظاهرها الجوارح » .. ويعلق على قوله بأنها لا جارحة ولا أبعاض .. بقوله : « ليست أبعاضًا » !.. فهذا كلام قائم قاعد ، ويضيع الخطاب لمن يقول هذا » [1] .

لقد أثبت السلف والخلف هذه الألفاظ إيمانًا وتسليمًا ، ثم أولوها على ما يقتضى السياق والمعنى اللغوى فى ضوء إثبات الكمالات للذات الإلهية ، وتنزيهًا لها من كل نقص أو عيب [2] ، أما التفسير بالجارحة والعضو والجسم فهو ما لا يليق بالله تعالى .

لقد أبلى علماء أهل السنة بلاء حسنًا فى الدفاع عن العقيدة كابن فورك (ت ٤٠٦هـ) ، والبيهقى والقشيرى والغزالى والرازى والآمدى ، فقد واجهوا تيارًا عنيدًا من المشبهة تسبب فى وقوع الفتن والمحن المتعاقبة فى تاريخنا الإسلامى .

لقد جاء الإسلام ليحارب التصورات المادية والأرضية للألهية ، ويرتقى بحس وفهم الإنسان ، ويثبت أركان التوحيد بينابيعه الصافية النقية ، ولكن المجسمة أشاعوا بين العوام عقيدة هى أقرب إلى الصنمية وتلقفها العوام ؛ لأنها قريبة من فهمهم وترسخت فى عقولهم ، وضربوا بأسس العقيدة فى القرآن وما ينبغى ويليق بالذات الحائط ، وجهلوا ما جاء بضرورة صرف المعانى الموهمة للتشبيه والتجسيم فى القرآن إلي ما يليق بالله العزيز [3] .

وفى هذا السياق ينبغى الإشادة بجهاد سيدنا الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) فى سبيل الدين ، فقد حاولوا أن ينتزعوا منه اعترافًا بأن القرآن مخلوق فرفض أن يقول على الله ما لم يقل فى كتابه ، وجعل من كتاب الله مرجعيته للعقيدة حسب ما رأى

---

(١) ابن الجوزى : دفع شبه التشبيه ؛ ص ٤٨ .

(٢) انظر الرازى : أساس التقديس ؛ ص ١٧٦ .

(٣) ابن عساكر : تبيين كذب المفترى ؛ ص ٣٠٨ .

.. أما ما دخل فى مذهبه من مفاسد وتجسيم فهو منها براء ، يقول أبو محمد التميمى الحنبلى الكبير والمشهور فى الاتجاه الحنبلى المشبه : «لقد شان المذهب شيناً قبيحاً ، لا يغسل إلى يوم القيامة» . يقصد ماتحمله تيار عاصم بن خشيش والملطى ، وغيرهما كأبى عبد الله بن حامد ، وأبى يعلى ، وابن الزاغونى [١] .

* * *

٦- السَّاق:

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ ﴾ [٢] . وقال ، ﷺ : **«يكشف ربنا عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى من كان يسجد فى الدنيا رياء وسمعة . فيذهب ليسجد له ، فيعود على ظهره طبقاً»** [٣] .

وقد اضيفت اللفظة فى الخبر ، ولم تضف فى الآية ، وفسرها ابن عباس بالشدة ، فقال يوم يكشف عن شدة ، وهو من كلام العرب فيقولون قامت الحرب على ساق ، أى على شدة [٤] .

كما فسروها بالنور العظيم أو النفس أو ساق بعض الملائكة .

وقد أول هذه اللفظة جمهور كبيرة من العلماء فنجد ابن حزم الظاهرى يتخلى عن حذره والتزامه ويؤلها بالشدة وهول الموقف [٥] ، وكذلك قالت المعتزلة الساق تأول بالشدة [٦] .

ولا حجة للمجسمة فى الآية ولا الخبر ؛ لأن الآية لم تذكر أن الله هو الذى يكشف عن ساقه فجاءت بلفظ ما لم يسم فاعله . كما أن إثبات ساق واحدة نقص فى البشر وهى كذلك فى حق الله ، ثم لمَ يكشف الله عن ساقه ومما يحذر ؟ وفى الدنيا لا يكون إلا من تخوف محذور أو اتقاء مخاضة أو طين !..

---

(١) انظر ابن الجوزى : دفع شبه التشبيه ؛ص٧ ، ٨ - ١٠ .

(٢) سورة القلم : آية ٤٢ .

(٣) الحديث رواه البخارى ٨ / ٥٣١ ، حديث رقم ٤٩١٩ عن أبى سعيد الخدرى .

(٤) الرازى : أساس التقديس ، ص ١٨٣ ، وابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن ، ص١٣٧ - تحقيق السيد احمد صقر ، ط الأولى . القاهرة ١٩٧٣م .

(٥) ابن حزم : الفصل ، ٢ / ٣٥٢ .

(٦) القاضى عبد الجبار : شرح الأصول ؛ ص ٣٢٩ .

(٧) البيهقى : الأسماء والصفات ؛ ص ٤٣٨ .

obeikandi.com

إن المشبهة وأدعياء الظاهر يسوقون مناظريهم إلى كلام عظيم من أجل التفهيم والتعليم فهل يفهمون أو يعلمون أو يكون لديهم استعداد لذلك ؟.. هذا ما لم يحدث من قبل .

القصد إن صرف هذه الآية إلى التفسير البيانى ، وهى كناية عن الشدة والهول يوم القيامة هو الأولى والصحيح ، وقد أضافه الله إلى نفسه فى الخير ؛ لأنها شدة لا يقدر عليها إلا الله تعالى [١] .

٧- القدم والرجل:

روى البخارى ومسلم عن أنس بن مالك قال ، قال رسول الله ، ﷺ : **«لا تزال جهنم تقول : هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه ، فتقول : قط قط . وعزتك ، ويزوى بعضها إلى بعض ، ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله خلقًا فيسكنه فضول الجنة»** [٢] .

وروى البخارى عن أبى هريرة ؛ قال : قال رسول الله ، ﷺ ؛ **«تحاجت الجنة والنار ، فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة : فما لى لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم وغرهم ، قال الله ، عز وجل ، للجنة : أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى ، وقال للنار : إنما أنت عذابى أعذب بك من أشاء من عبادى ؛ ولكل منكما ملؤها ، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله فيها رجله ، فتقول : قط قط قط ، فهنالك تمتلئ ، ويزوى بعضها إلي بعض ، ولا يظلم الله من خلقه أحداً ، وأما الجنة فإن الله ، عز وجل ؛ ينشئ لها خلقًا»** .[٣]

وقد روى هذه الأحاديث بعض الرواة بالإضافة إلى رب العالمين **«رجله .. قدمه»** **ومنهم من تهيب ذلك فلم يضف .. ويعلق على ذلك أبو سليمان الخطابى ، رحمه الله ، فيقول : فيشبه أن يكون من ذكر القدم والرجل ، أو ترك الإضافة إنما تركها تهيبًا لها وطلبًا للسلامة من خطأ التأويل فيها»** [٤] .

---

(١) انظر ابن الجوزى : دفع شبه التشبيه ؛ص٧ ، ٨ – ١٠ .
(٢) متفق عليه .
(٣) متفق عليه .
(٤) البيهقى : الأسماء والصفات ، ص ٤٤٣ .

فقد استشعر المحدثون خطر هذه الأحاديث ومدى ما تتركه فى العقيدة من آثار سيئة لو تهاون الرواة أو تجاوزوا فى الزيادة أو النقصان من الدلالة .

وكان أبو عبيد وهو أحد أئمة أهل العلم يقول : نحن نروى هذه الأحاديث ، ولا نريغ لها المعانى .

قال أبو سليمان : ونحن أحرى بأن لا نتقدم فيما تأخر عنه ، هو أكثر علمًا وأقدم زمانًا وسنًا ، ولكن الزمان الذى نحن فيه قد صار أهله حزبين **منكر لما يروى من نوع هذه الأحاديث رأسًا** ، ومكذب به أصلاً ، وفى ذلك تكذيب العلماء الذين رووا هذه الأحاديث ، وهم أئمة الدين ونقلة السنن والواسطة بيننا وبين رسول الله ، ﷺ .

* **والطائفة الأخرى مسلمة للرواية** فيها ذاهبة فى تحقيق الظاهر منها مذهبًا ، يكاد يفضى بهم إلى القول بالتشبيه . ونحن نرغب عن الأمرين معا ، ولا نرضى بواحد منهما مذهبًا ، فيحق علينا أن نطلب لما يرد من هذه الأحاديث ، إذا صحت من طريق النقل والسند ، تأويلاً يخرج على معانى أصول الدين ، ومذاهب العلماء ولا نبطل الرواية فيها أصلاً ، إذا كانت طرقها مرضية ونقلتها عدولاً [1] .

والحقيقة لقد أفضت هذه الروايات إلى التشبيه ، يقول ابن الزاغونى : « إنما وضع قدمه فى النار ليخبرهم أن أصنامهم تحترق وأنا لا أحترق ! وسفه ابن الجوزى كلامه فقال : وهذا تبعيض ، وهو من أقبح الاعتقادات ، وهو يجاهر صراحة بالجسمية ، ثم إن هذا الكلام يتعارض مع قوله تعالى : ﴿ **لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا** ﴾ [2] فأى القولين صدق وحق ، ما يرويه الرواة المشبهة أم كلام رب العالمين ؟!.. وكيف جرؤا على هذا فظنوا بالخالق ورودها ؟ تعالى الله عن تجاهل المجسمة .[3]

أما ابن خزيمة فقد قسم كتابه « التوحيد » إلى أبواب فقال : باب إثبات اليد ، باب إمساك السموات على أصابعه ، باب إثبات الرجل ، وإن رغمت المعتزلة .

---

(١) البيهقى : السابق ، ص ٤٤٣ ، ٤٤٤ .

(٢) سورة الأنبياء : اية ٩٩ .

(٣) انظر ابن الجوزى : مصدر سابق ، ص ٤٠ .

ثم قال : قال الله تعالى : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا؟ ﴾ [١] فاعلمنا أن ما لا يد له ولا رجل كالأنعام [٢] !

قال ابن عقيل : تعالى الله أن تكون له صفة تشغل الأمكنة ، وليس الحق ، تعالى ، بذى أجزاء وأبعاض فيعالج بها ، ثم إنه أليس يعمل فى النار أمره وتكوينه حتى يستعين بشئ من ذاته ويعالجها بصفة من صفاته ، وهو القائل : ﴿ ..كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا ﴾ [٣]. فما أسخف هذا الاعتقاد ، وأبعده عن مكون الأملاك والأفلاك.[٤]

وقد أطلنا ، ولكن لا بأس من الاستطراد من أجل إيضاح هذه القضية بما تحمله من أهمية كبيرة فى عقائد المسلمين فى ربهم .

يقول ابن فورك ؛ فى تأويل الخبر الذى ذكرناه : إنه يحتمل أن يكون المعنى فيه ما يضعه الله فى النار من الكفار ، وهم الخلق الكثيرون فتمتلئ جهنم بهم ، وأنه سمى ذلك رجلا على عادة العرب فى تسمية الجماعة رجلا ، لأنهم يقولون للجراد الكثير رجل ، ويقولون : جاءت رجل من الجراد ، يصفون بذلك جمعًا كثيراً . . ويحتمل أن يكون رسول الله ، ﷺ ، أراد بالرجل ها هنا الخلق الكثير ، وأضافه إلى الله ، تعالى ، على طريق الملك والفعل [٥] .

أما الجوينى فيقول فى حديث البخارى : وللتأويل أوسع مجال فيه ، فيمكن أن يحمل الجبار على متجبر من العباد ، وهو فى معلوم الله من أعتى العتاة ، وقد ألهمت النار ترقبه ، فهى لا تزال تستزيد حتى يستقر قدم ذلك الجبار فيها ، فتقول النار عند ذلك : قطِ قطِ [٦] .

أما من جعل لله قدمًا ورجلاً بمعنى الجزء ، فقد جعل الله مثل خلقه وذلك كفر وكذب ، فكل شئ يرد النار فهو مخلوق ليس إله .

إن هذه الأخبار لا تصمد للنقد العقلى ولا عند عرضها على منهج العقيدة ، ولذلك لا غرابة أن وجدنا عالما كالرازى يرفض هذه الأخبار وينكرها لضعفها الشديد

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٩٥ .
(٢) ابن خزيمة : التوحيد ؛ ص ١٥ .
(٣) سورة الأنبياء : آية ٦٩ .
(٤) ابن الجوزى : مصدر سابق ؛ ص ٤٠ .
(٥) ابن فورك : مشكل الحديث وبيانه ، ص ٤٦٧ .
(٦) الجوينى : الإرشاد ، ص ١٥٢ .

من حيث المعنى ، وتناقضها مع منهج القرآن التوحيدى النقى ، والكثير من هذه الأحاديث ضعيف سنداً ومتنًا ، وهذا الرأى صحيح إن اقتصد فى الإنكار والرفض ، وعمومًا الرازى من كبار العلماء الذين أدركوا قضية التنزيه فى الصفات ، وخطورة هذه الأخبار على العقيدة ، فقد حملت هذه الأخبار تشنيعًا على العقيدة ففيها كلام على لسان الرسول قيل كذبًا ، يهدم الدين ، فكيف يتصور المخاصمة والحجاج بين الجنة والنار ، وهما جمادان ، أو يسأل الله النار فلا تمتلأ ، وفى ذلك عصيانها له ، إلا بوضعه قدمه فيها !.. وهذا كله حشو وتجسيم لا يليق بذات البارئ ، كما أن وضعه ، تعالى ، قدمه فيها لا يعد جوابًا لها على سؤالها . وربما اعتقد أن القدم هنا فداء أو لإسكات غضبها ، وقد جاء بالنص [1] ما يكذب هذا الخبر ففيه أن جهنم تملأ من المكلفين لا بقدم الله عز وجل !!.. [2] . وما الفرق بين هذا الكلام ودعوى النصارى فى الفداء والصلب ؟!..

* * *

٨- الجنب:

قال تعالى : ﴿ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾ [3] أى طاعته وأمره ؛ لأن التفريط لا يقع إلا فى ذاته . وأما الجنب المعهود من ذى الجوارح فلا يقع فيه تفريط [4] .

وحكى البيهقى عن مجاهد تفسيره للآية يعنى : ما ضيعت من أمر الله [5] ، كما قال ابن حزم : معناه فيما يقصد به إلى الله ، عز وجل ، وفى جنب عبادته [6] .

وكان الجوينى موفقًا إذ عد الجنب من الجناب ، فكان تفسيرها لغويًا غاية فى الوضوح : « ولا يلتبس معنى هذه الآية إلا على غرٍّ غبى . إذ لا يتجه فى انتظام الكلام حمل الجنب على تقدير الجارحة ، مع ذكر التفريط ، فلا وجه إلا حمل الجنب على جهات أمر الله ، تعالى ، وماخذها » .

---

(١) انظر سورة ص / ٨٥ ، وهود / ١١٩ .
(٢) انظر الرازى : مصدر سابق ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ .
(٣) سورة الزمر : آية ٥٦ .
(٤) ابن الجوزى : دفع شبه التشبيه ؛ ص ٢٥ .
(٥) البيهقى : الأسماء والصفات ؛ ص ٤٥٥ .
(٦) ابن حزم : الفصل ؛ ٢ / ٢٤٩ .

ويفسرها أيضا بالرعاية : يقال فلان محترس برعاية فلان ، لائذ إلى جنبه ، عائذ بجنابه . وليس ما ذكرنا من مضارب التأويل ، بل على قطع نعلم بطلان حمل الجنب الذى أضيف إليه التفريط على الجارحة [١] .

وهكذا نجد الاتجاه العام لدى علماء أهل السنة وغيرهم بعيد كل البعد عن تصور هذه اللفظة صفة للخالق . فضلا عن تصورها جارحة . إلا أن ذلك لم يكن رأى ابن حامد ، وهو من متأخرى الحنابلة الذين مالوا للتشبيه ، حيث يقول : « نؤمن بأن لله ، سبحانه وتعالى ، جنبًا بهذه الآية !.. ويعلق ابن الجوزى على هذه المقالة الجانحة عن الصواب بقوله : فواعجبًا من عدم العقول ، إذا لم يتهيأ التفريط فى جنب مخلوق فكيف يتهيأ فى صفة الخالق ، جل جلاله ؟!.. ودلالات السياق اللغوى تؤيد ذلك ، قال الشاعر :

خليلى كفا ؛ واذكرا الله فى جنبى

أى فى أمرى [٢] .

ويأتى التفسير البيانى ليزيد هذا المعنى جمالاً ويكسبه بهاء ، فيشير الرازى إلى أنها أى الجنب تعنى الوحى ، وهو من المجاز اللغوى ، فيمسى جنب الشئ جنبًا لمجانبته غيره . وكذلك من عمل عملاً صالحًا فقد جانب غيره . ومن عمل لوجه الله فقد جانب بعمل غير الله ، ومن هنا صح القول بأنه أتى ذلك العمل فى جنب الله . وهذه من الاستعارة المعروفة المعتادة فى العرف [٣] .

ويذكر الكوثرى فى تعليقه رأى الزمخشرى فى « الكشاف » فيقول : والجنب الجانب ، يقال والجانب . ثم قالوا : فرط فى جنبه وفى جانبه ، يريدون فى حقه ، قال سابق البربرى :

أما تتقين الله فى جنب وامق .. له كبد حرى عليك تقطع [٤] .

وقال السيد محمود الآلوسى فى تفسيره « روح المعانى » :

---

(١) الجوينى : الإرشاد ؛ ص ١٤٩ ، ١٥٠ .
(٢) ابن الجوزى : مصدر سابق ، ص ٢٥ .
(٣) الرازى : أساس التقديس ؛ ص ١٨١ .
(٤) الزمخشرى : الكشاف ؛ ١ / ١٠٦ .

وبالجملة لا يمكن إبقاء الكلام على حقيقته لتنزهه ، عز وجل ، من الجنب [1] بالمعنى الحقيقى ، ولم أقف على عد أحد من السلف إياه من الصفات السمعية .

وقال القاسمى فى تفسيره : أى فى جانب أمره ونهيه إذ لم أتبع أحسن ما أنزل[2] .

* * *

٩- النفس :

قال تعالى : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [3] .

وقال : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ [4] .

وقال : ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ ﴾ [5] .

وروى أبو هريرة عن النبى ، ﷺ ، أنه قال : **«لما خلق الله الخلق كتب فى كتابه ، وهو يكتب على نفسه ، وهو موضوع عنده على العرش ، إن رحمتى تغلب غضبى»** [6] .

وقد أول أهل السنة النفس بمعانى مختلفة حسب السياق اللغوى ، فقالوا فى الآية الأولى ،كتب على نفسه : **أى على ذاته** ، وكذلك الآية الثانية والثالثة ، أما قوله تعالى ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [7] .

فهى **بمعنى العلم** ، ودالة على إحاطة علمه لكل معلوم فى عالم الغيب والشهادة على السواء [8] .

وللنفس فى القرآن الكريم معانٍ متعددة وحسب ما جاء فى اللغة :

١- البدن : قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [9] .

٢- الدم : يقال هذا حيوان له نفس سائله . أى : دم سائل .

---

(١) الآلوسى : روح المعانى .
(٢) القاسمى : تفسيره ، والقرطبى ١٥ / ٢٧١ .
(٣) سورة الأنعام : آية ٥٤ .
(٤) سورة آل عمران : آية ٣٠ .
(٥) سورة طه : آية ٤١ .
(٦) متفق عليه رواه البخارى ١٣ / ٣٩٥ حديث رقم (٧٤٠٤) ومسلم (٢٧٥١) .
(٧) سورة المائدة : آية ١١٦ .
(٨) القشيرى : اللطائف ١ / ٤٥٧ .
(٩) سورة آل عمران : آية ١٨٥ .

٣- الروح : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ (١) .

٤- العقل : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ (٢) .

٥- ذات الشئ وعينه : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ ﴾ (٣) .

فإذا عرفت هذا فاعلم أن لفظ النفس فى حق الله ، تعالى ، هى **ذاته وحقيقته** .

وفى قوله تعالى : ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ ﴾ (٤) زيادة تأكيد للمبالغة فى تكريم المضاف ورفع شأنه ، وهو معروف فى اللغة .

وفى تفسير قوله : ﷺ : «**كتب كتابًا على نفسه**» فالمراد به كتب كتابا ، وأوجب العمل به ، والمراد من قوله : «**على نفسه**» ؛ التأكيد والمبالغة فى الوجوب واللزوم . فثبت أن المراد **بالنفس** فى هذه المواضع : **هو الذات** ، وأن الغرض من ذكر هذا اللفظ : المبالغة والتأكيد » (٥) .

ولابن فورك كلام موفق فى إثبات الصفات على طريقة السلف فيقول : « الخبر إذا ورد مقيداً بذكر أشياء مخصوصة مضافة إلى الله ، تعالى ، فلا يجوز أن يتعدى ما ورد به الخبر ، لأجل أن إطلاق هذه الإضافة والصفة الخبر ، ولا مجال للعقل فيه ، فكذلك القول فى تقييده فى الموضع الذى قيد فيه لا طريق له غير الخبر» (٦) . وعلى هذا فأهل السنة يثبتون الصفات الواردة فى النص والخبر الصحيح ، غير أنهم يفارقون المشبهة فى فهم المراد منها على معانيها الصحيحة ، حسب ما يقتضى المعنى والسياق ومراد الله منها ، فى إطار المنهج القرآنى فى فهم العقيدة .

* * *

---

(١) سورة الزمر : آية ٤٢ .
(٢) سورة الأنعام : آية ٦٠ .
(٣) سورة البقرة : آية ٩ .
(٤) سورة طه : آية ٤١ .
(٥) الرازى : أساس التقديس ؛ ص ١٢٣ ، ١٢٤ .
(٦) ابن فورك : مشكل الحديث ؛ ص ٣٩٦ .

ب - الصفات الخبرية الفعلية

نقصد بها الاستواء والعلو والمعية والإتيان والمجئ والقرب والبعد وما إلى ذلك ، وقد ورد ذكرها فى النص وكثير من الأخبار ؛فما رأى أهل السنة والجماعة فى هذه الصفات ؟

١-الاستواء:

قال تعالى : ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥** ﴾ (١) .

وقال : ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ** ﴾ (٢) .

وجاء فى الخبر عن رسول الله ، ﷺ ، قوله : «**إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتى سبقت غضبى**» (٣) .

وجمهور أهل السنة يثبتون الاستواء صفة لله ، عز وجل ، بما جاء من الكتاب والسنة الشريفة ، ولا ينكرون شيئًا من الاستواء والعلو ، قال تعالى : ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** ﴾ (٤) .

ويثبت الأشعرى الاستواء صفة لله ، عز وجل ، بلا تأويل ، وقال : إنه فعل خص به الله العرش ، واستدل بقوله تعالى : ﴿ **أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦** ﴾ (٥) وبالغ فى التعيين ، فقال : هو على العرش الذى فى السموات ، ولذلك يرفع المسلمون أيديهم عند الدعاء (٦) . وهو كلام غريب على رجل عاش أربعين عامًا من عمره فى المدرسة العقلية وفى أحضان الفكر المعتزلى ، وربما قصد بذلك إرضاء المحدثين فى عصره والدليل على ذلك ، مخالفة منهجه فى الإبانة منهجه فى اللمع ، والذى أوضح فيه جانبًا كبيرًا من فكره العقلى فى النظر والاستدلال .

وجاء من بعده أبو بكر الباقلانى فأثبت الاستواء صفة لله على **طريقة** السلف،

---

(١) سورة طه : آية ٥ .

(٢) سورة الفرقان : آية ٥٩ .

(٣) رواه البخارى .

(٤) سورة فاطر : آية ١٠ .

(٥) سورة الملك : آية ١٦ .

(٦) الأشعرى : الإبانة ، ص ٨ .

ولم يؤلها بشئ [١]. ومثل بذلك أقصى حدود الالتزام السلفى فى المدرسة الأشعرية.

غير أن السلف لم يقصد من الاستواء ظاهره ، وهو الجلوس وتعيين الجهة ، ومن المؤكد أنهم كانوا يفهمونه بمعناه اللغوى ، الذى ورد فى اللغة ودلالاتها المختلفة ، ففهموا منه الاستيلاء والتمكن والسلطان والملك [٢] .

وقبل الحديث عن أدلة أهل السنة فى تفسير الصفة وبيان معناها ، نود الإشارة إلى أن المعتزلة اتفقوا مع أهل السنة فى أن معنى الاستواء يؤل به الاستيلاء لقول الشاعر :

فلما علونا واستوينا عليهم تركناهم صرعى لنسرٍ وكاسرِ

وقول الآخر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مراق

فالحمد للمهيمن الخلاق

وقال العرب : ثل عرش بنى فلان ، أى زال ملكهم ، قال الشاعر :

إذا ما بنو مروان ثلت عروشهم وأودت كما أودت إياد وحمير [٣]

أما **المشبهة والحشوية** فقد أثبتوا الصفة على طريقة السلف ، ثم عادوا فقالوا : إنها صفة على الحقيقة لا على المجاز ، فجمعوا بين المتناقضين والمتعارضين ، وخالفوا النقل والعقل جميعًا ، إذ كيف تكون صفة الاستواء على حقيقتها استقرارًا وعلوًا وجهة ومكانية بلا تكييف ولا تمثيل !!..

فعينوا لله جهة الفوق ، ومكان العرش ، ولكنها بزعمهم فوقية تليق به ، ويثبتون التحيز والحد : « ولكنه حد تتميز به عظمة ذاته عن مخلوقاته ، والجهة إنما هو بحسب الكون وأسفله » [٤] . وكل ذلك ضرب من الجهل والخلط وخروج عن المعقول والمنقول .

---

(١) الباقلانى : الإنصاف ، ص ٣٦ .

(٢) البغدادى : أصول الدين ، ص ١١٢ ، ١١٣ .

(٣) القاضى عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ؛ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٤) انظر الواسطى الشافعى : رسالة النصيحة فى صفات الرب جل وعلا ، ص ٣٥ ، تحقيق : زهير الشاويش جـ١ ، المكتب الإسلامى ١٩٨٥ م .

أما الدرامى فقال ما تنكره عقائد التوحيد ، ولا أدرى كيف فاه بهذا الكلام !.. فقد قال بأن الملائكة تحمل العرش ، ويقصد به العرش الذى يجلس عليه الله !.. وفوقه الجبار فى عزته وبهائه ، وقد ضعفوا عن حمله واستكانوا وحثوا على ركبهم حتى لقنوا « لا حول ولا قوة إلا بالله » استقلوا به بقدرة الله وإرادته [١] !.. هذا هو تصور الدارمى فى ربه جثة على عرش فى جهة تنوء الملائكة بحمله ، وهو لا يخرج عن تصور اليهود فى ربهم : « فالله بكماله فوق عرشه فوق سمواته » [٢] هكذا !.. ولا أدرى كيف جاز فى عقله أن يقول ذلك فى عقائد المسلمين القائم على التوحيد وصفاء العقيدة ؟!..

لقد شحن المشبهة كتبهم بكثير من الأحاديث ، التى تحتاج إلى النظر ، وكثير منها لا يصح وهو محض اسرائيليات ، وكأنك تقرأ فى التورة عن بنى إسرائيل حين حرفوا كتاب ربهم وعبدوا العجل افتراء .

وينقسم أصحاب الحديث فيما ورد به الكتاب والسنة إلى قسمين:

١- منهم من قبله وآمن به ولم يؤوله ، ووكل علمه إلى الله ، ونفى الكيفية والتشبيه عنه . وأولئك أصحاب السلامة .

٢- ومنهم من قبله وآمن به وحمله على وجه يصح استعماله فى اللغة ولا يناقض التوحيد ، وهم أغلب جمهور أهل السنة [٣] .

وكان الليث بن سعد فقيه أهل مصر يقول عن حملة هذه الصفات : « أَمِرُّوها كما جاءت بلا كيفية » .

وكان سفيان بن عينية (ت ١٩٨هـ) يقول : « كل ما وصف الله به نفسه فى كتابه ، فتفسيره تلاوته والسكوت عليه » .

ويعلق البيهقى على هذا الكلام النفيس : وإنما أراد به ، والله أعلم ، فيما تفسيره يؤدى إلي تكييف ، وتكييفه يقتضى تلاوته والسكوت عليه » [٤]

---

(١) الدارمى : فى نقضه للمريسى ج٢ / ٤٤٣ . (٢) المصدر السابق ، ص ٤٦٨ فى رده على الجهمية .

(٣) انظر قضية الجهة والاستواء عند القاسم بن إبراهيم فى كتابه المسترشد بتحقيقنا .

(٤) البيهقى : الاعتقاد والهداية ، تحقيق أحمد عصام الكاتب ، ص ١١٧ ، ١١٨ دار الآفاق الجديدة بيروت . ط أولى ١٩٨١ م .

وخرج الجوينى آيات الاستواء والعلو على الإحاطة والعلم والاستواء والقهر ، وأشار إلى نتائج عدم التفسير لها بقوله : وقد يؤدى عدم التأويل إلى وقوع المحظور فى الاعتقاد ، ويجر إلى اللبس والإيهام واستزلال العوام ، وتطريق الشبهات إلى أصول الدين ، وتعريض بعض كتاب الله ، تعالى ، لرجم الظنون [١] .

لقد كان مذهب السلف التنزيه والسكوت طلبًا للسلامة ، أما الاستواء الحسى ، فزيادة لم تأثر عن السلف إنما فهمها الحشوية من أنفسهم وبعقولهم ، يقول ابن الزاغونى : « الاستواء مماسة وصفة لذاته والمراد به القعود! » [٢] . فهل هذا كلام يقبل فى عقيدة التوحيد الصافى ؟!

فنفى الجسمية ونفى الاستواء الحسى ، وهو من مقتضيات الجسمية تناقض لا يجوز حتى على عوام الناس والسذج ، وأن نقبل قول أحدهم : « عرشه ما ملأه وأنه يقعد نبيه معه على العرش !.. كلام نستغفر الله منه ، وهو على ما حكى يعنى صغر ذاته وحلولها فى العرش . فالعجب من قول هذا : ما نحن مجسمة » [٣] .

جاء بعد ذلك **ابن تيمية وتلميذ ابن القيم فناصرا** دعوى الاستواء والعرشية والعلو ، فأثبتوها صفات لله ، عز وجل ، وزادوا على ذلك بأنها صفات على ظاهرها أى على المفهوم من المعنى الظاهر منها ، وبذلا فى سبيل ذلك جهداً علمياً كبيراً فألف ابن تيمية « الرسالة العرشية ، « والحموية » ، و« الأصفهانية » ، وابن القيم ألف « الصواعق المرسلة »ومختصره ، وحكوا عن التابعين مقالات عجيبة محصلتها نصرة القول بالظاهر القريب ، ويرجع ذلك إلى أن ابن تيمية ولد ونشأ وتربى فى بيئة ناصرت التجسيم والتشبيه فتشبع فكره بها ، كما أنه لا يستبعد تأثره بالفلسفة الوسيطة – والأفلوطونية المحدثة ، وكذلك مقالة المحدثين فى ربهم من أمثال أبى يعلى وابن الزاغونى وأبى حامد وابن حشيش والملطى .. وكلهم حنابلة يأخذون بظاهر الحديث ولا ينظرون فى فقهه ، ولذلك قالوا بالاستواء والجهة والعلو والفوقية والاستقرار على الحقيقة وجرى مجرى ابن خزيمة والدارمى ، وغيرهما من أصحاب التعصب للتشبيه

---

(١) الجوينى : الإرشاد ، ص ٩٥ ، ٦٠ .

(٢) ابن الجوزى : مصدر سابق ، ص ٢١ .

(٣) ابن تيمية : العقيدة الواسطية ، ص ٣٩٥ . وغيرها .

فبلغ بهم أن قالوا : إن من لم يقل بأن الله ، عز وجل ، على عرشه فوق سبع سمواته ، فهو كافر بربه حلال الدم . . ! »[1]

ومذهب ابن تيمية فى الصفات الخبرية فى غاية الضعف وينصرف إلى التشبيه والتجسيم ، ولا معنى لقوله بلا تشبيه أو تمثيل أو تكييف ، لأنه أثبت بمقالته كل تشبيه وتمثيل وتكييف ، وهو يقول ذلك على سبيل الاحتراز أو التمويه وهو لا يجدى ، ولذلك أنصف الشيخ أبو زهرة فى دراسته عنه حيث دعا إلى عدم الأخذ بطريقته فى فهم المتشابه ، لأنها تفضى إلي توهم التشبيه والتجسيم وخصوصاً بالنسبة للعامة »[2].

وسنذكر من أقول السلف والعلماء ما تطمئن إليه قلوب وعقول المؤمنين الذين وصفهم الله بأولى بالألباب ، فهو الله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾[3] يقول ابن العربى صاحب العواصم : فلما قال « الرحمن على العرش استوى » كان المطلوب هنا ثلاثة معان : معنى الرحمن ، ومعنى استوى ، ومعنى العرش .

فأما **الرحمن** فمعلوم لا خلاف فيه ولا كلام .

وأما **العرش** فهو فى العربية لمعانٍ فأيها تريدون ؟

ولفظ **استوى** معه ، محتمل لخمسة عشر معنى فى اللغة فأيها تريدون ، أو أيها تدعون ظاهراً منها ؟!

ولم قلتم : إن العرش ها هنا المراد به مخلوق مخصوص ؟ فادعيتموه على العربية والشريعة ؟ ولم قلتم : إن معنى استوى قعد أو جلس ، فتحكمون باتصاله به ، ثم تقولون إنه أكبر منه من غير ظاهر ، ولم يكن عظيما بقدر جسمه حتى تقولوا إنه أكبر أجزاء منه ؛ ثم تحكمهم بأنه أكبر منه بأربع أصابع تحكم لا معنى له[4] .

والمتقدمون من أهل السنة كانوا لا يفسرون الاستواء ، ولا يتكلمون فيه تهيباً وتفويضا وكذلك التابعون قال الأوزاعى : كنا والتابعون متوفرون نقول : إن الله ،

---

(١) انظر الدرامى : الرد على الجهمية ، ص ٣٩٩ ، وابن القيم : الصواعق المرسلة ؛ ٢ / ٣٧٩ .

(٢) أبو زهرة : ابن تيمية ، ص ٢١٢ ، دار الفكر . مصر د. ت .

(٣) سورة طه : آية ٥ .

(٤) ابن العربى : العواصم من القواصم ، ص ١٤٥ .

تعالى ، ذكره فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته ، جل وعلا ، وسئل ربيعة الرأى (ت ١٣٦هـ) : الكيف مجهول ، والاستواء غير معقول ويجب عليَّ وعليك الإيمان بذلك كله .

وفسرها ابن فورك بمعنى علا ، وهى صفة ذات [1] .

ويفسر القشيرى الاستواء فيقول : الأكوان بقدرته استوت لأن الحق ، سبحانه ، بذاته ، على مخلوق ، استوى ، وأنى بذلك !..

والأحدية والصمدية حقه ، وما توهموه من جواز التخصيص بمكان ، فمحال ما توهموه ، إذ المكان به استوى ، لا الحق ، سبحانه ، على مكان بذاته استوى» [2] .

* * *

٢- المكان والجهة :

نفى أهل السنة والجماعة ومعهم جمهور المعتزلة والزيدية المكان والجهة ، وقالوا باستحالة ذلك [3] ، وخالفهم فى ذلك جماعة من المشبهة والكرامية ، فقالوا هو فى جهة فوق ، وزادوا على ذلك ، فقالوا بأنه فى الجهة ككون الأجسام فيها ، وجوزوا عليه الحركة والانتقال والتبدل فى الجهات .

ولا شك أنهم فى ذلك يحاكون اليهود فى عقيدتهم عن ربهم ، وبالغوا فى التشبيه فقالوا بأنه تعالى محاذ للعرش غير مماس له بمسافة متناهية ، وفى ذلك تناقض ، إذ كيف يثبتون الجهة والجسمية ولا يثبتون ما يلزم عنها !

ثم ما معنى القول بمسافة غير متناهية بين الشئ وما يستقر عليه ، وهو فى غاية الاستحالة ، وخفف بعضهم من غلوائه فأثبت الجهة ونفى الجسمية [4] . فما أدلتهم على ذلك ؟!

قال المشبهة : لنا فى النص القرآنى شواهد نستدل بها ، منها قوله تعالى :

---

(١) البيهقى : الأسماء والصفات ، ص ٥٢٢ وما بعدها .

(٢) القشيرى : مصدر سابق ؛ ١ / ٧٤ .

(٣) يحيى بن حمزة العلوى : تنزيه الخالق ، ص ١٠ وما بعدها . بتحقيقنا .

(٤) الإيجى : المواقف ؛ ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [١] ، و ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ [٢] ، ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [٣] .

أما الأدلة العقلية التى يستدلون بها فهى أن إثبات الفوقية والجهة **ضرورة عقلية** ، فالعقل يجزم بأن كل موجود فهو متحيز وفى جهة . واستخدموا الجدل والسبر والتقسيم ، فقالوا بأن الله إما أن يكون داخل العالم أو خارج العالم بائن عنه ، أولا داخل العالم ولا خارجه ، وانتهوا من ذلك بضرورة أن يكون خارج العالم بائن عنه على عرشه ، وكذلك قائم بذاته متحيز بذاته [٤] .

كما اعتبر المثبتة للجهة أنها من **صفات الكمال** ، واستدلوا على شرف الجهة وتعيينها برفع العباد أيديهم نحو السماء عند الدعاء ، وكان معراج الرسول ، ﷺ ، إلى جهة فوق ، وطلب فرعون من هامان وزيره أن يبنى له الصرح ، لعلمه بأن الله فى السماء ، والجارية فى الحديث أشارت إلى السماء كمكان يتعين أن يكون فيه ربها .

ويرى ابن تيمية أن الجهة والمكان ثابت لله ، عز وجل ، أما القرب والبعد فهو بالعلم ، وينسب للسلف ذلك وأهل الحديث والصوفية ، أما القرب فالدلالة عليه قرينة السياق ، ولذلك جاز عنده تأويل المعية والقرب أما الاستواء فلا !.. ، وأجراها على الظاهر من النص [٥] .

وعند استقراء كلام ابن تيمية يتبين لنا أن السلف أولوا بعض الصفات وذلك عندما يجدون فى النص ما يتشابه ويلتبس فى أذهان العوام أو يوهم ظاهره بالجسمية ، فلا يسعهم تأويل الصفة بما يتفق مع القطعيات من النصوص . ولذلك القول بأن السلف جهلوا تفسير الصفات ، أو كان السكوت موقفًا ثابتًا لهم ومطلقًا والتسليم به ، قول يحتاج للنظر .

ولم يعين أهل السنة الجهة ، وكذلك المعتزلة والجهمية أصحاب جهم بن صفوان [٦] ، فلا وجه للقول بأن الله فى السماء دون الأرض وغيرها ، والتنزيه يقتضى عدم تعيين المكانية وفى النص ما يدل على ذلك .

---

(١) سورة طه : آية ٥ .
(٢) سورة الفجر : آية ٢٢ .
(٣) سورة فاطر : آية ١٠ .
(٤) الإيجى : مصدر سابق ٤ ص ٢٧٢ .
(٥) ابن تيمية : الأسماء والصفات من الفتاوى ١ / ١٤٠ .
(٦) الملطى : التنبيه والرد ، ص ٩٧ .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ ﴾ (١) .

وقال : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ (٢) .

أما من ناحية العقل فقد قالوا بأن تعيين الجهة يلزم منه إثبات المكان ، وهو ما لا تنفيه المشبهة ، وهو يوجب إثبات الجسمية ، كما أنه لو كان فى السماء لخلت منه الأماكن الأخرى ، وكذلك ينفى عنه القرب ، والذى أوله المشبهة بالعلم من قبل .

ولو كان فى السماء لما كانت السجدة تفيد قربًا منه ، كما أنه يلزم من الجهة التحيز والحدوث والزمانية وهو ما لا يجوز فى الله ، تعالى ، ثم أيهما أولى تأويل آيات الاستواء والجهة أم آيات القرب والمعية (٣) ؟!

والله ، عز وجل ، عند أهل السنة قريب من خلقه بالعلم والقدرة والنصرة ويتنزه أن يكون قريبًا من أحد أو بعيداً بذاته (٤) .

ماذا يؤدى القول بقدم المكان أوحدوثه ؟ سواء كان قديمًا أو حادثًا فاللازم من المقالتين باطل ، ويستحيل على الله اتفاقًا ، وكما أنه لا قديم سوى الله ، تعالى ، فكذلك الله ليس قرينًا للمحدثات . كما أن المتمكن محتاج إلى مكانة ، والمكان مستغن عن المتمكن ، والله هو الغنى .

كما يلزم التحيز فى بعض الأحياز أو جميعها وكلاهما باطل ، أما الأول فلتساوى الأحياز ونسبته إليها ، فيكون اختصاصه ببعضها ترجيحًا بلا مرجح ، أو يلزم الاحتياج فى تحيزه ، والذى لا تنفك ذاته عنه إلى الغير ، وأما الثانى : فيلزم تداخل المتحيزين وأنه محال بالضرورة .

كما يلزم مخالطته لقاذورات العالم ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، ويلزم من القول بالجهة القول بالجوهر الفرد ، وتعالى الله عن ذلك جملة وتفصيلاً ، فلا هو مركب من أجزاء ، ولا هو جزء لا يتجزأ ، ولا هو جسم محدث ، كما أنه لا حد له ولا نهاية . (٥)

---

(١) سورة الزخرف : آية ٨٤ .

(٢) سورة المجادلة : آية ٧ .

(٣) الشهرستانى : نهاية الإقدام ، ص ١٠٣ .

(٤) القشيرى : اللطائف ، ١ / ١٥٦ .

(٥) انظر الرازى : الأربعين ، ص ١٥٢ ومابعدها .

لقد كانت الجهة منفكة بين من يثبت ومن ينفى الجهة لذلك ظل الجدل بينهما قائما : فمن عرف لفظ الجهة ، ومعنى لفظ الاختصاص فهم قطعًا استحالة الجهات على غير الجواهر والأعراض ، إذ الخير معقول ، وهو الذى اختص الجوهرية والأعراض ، إذ الحيز جهة إذا أضيف إلى شئ آخر متحيز ، فالجهات ست فوق وأسفل وقدام وخلف ويمين وشمال . . » [1] .

فهل تتمايز أو تتفاضل الجهات ؟ . . لا شرف لجهة على أخرى . وقد تباينت الجهات فى هذا العالم بحسب خلق الله له فى هذا الحيز . أما من يرى أن جهة فوق أفضل وأشرف ، وينسب لله الفوقية ، بحجة رفعنا الأيدى بالدعاء نحو السماء فالرد عليه من جهتين .

١- يشبه الغزالى بمن يقول إن لم يكن الله ، تعالى ، فى الكعبة وهو بيته ، فما بالنا نحجه ونزوره ! . . وما بالنا نستقبله فى الصلاة ؟ . . وإن لم يكن فى الأرض فما بالنا نتذلل بوضع وجوهنا على الأرض فى السجود .

وفى رده على هؤلاء يقول : رفع الأيدى نحوالسماء بالدعاء فيه سر لطيف ، وهو ربط العبد بمعانى التواضع والخضوع لله ، تعالى ، وإعلان صدق العبودية له ، ونجاته فى ذلك وفوزه برضا ربه . ويصل العبد إلى قمة التواضع بالسجود لله ووضع جبهته على الأرض والتراب ، وبه يتحول التواضع والعبودية إلى معانى قلبية خالصة .

أما إشارة العبد إلى السماء فدليل على علو الرتبة لا علو المكانة ، وتعظيم لمن أمره فى السماء موجود ، ومن الطبيعى أن يرفع العبد يده نحو السماء ، لأنها موضع خزائن النعم وطلاب الرزق يميلون بوجوههم نحو خزائنها ، فهذا هو محرك وجوه أرباب الدين إلى جهة السماء طبعًا وشرعًا ، ويعتقد العوام أن معبودهم فى السماء وهو أحد أسباب إشارتهم إليها [2] .

أما حديث الجارية [3] فقد قال أهل السنة بأنه كان استعلاما عن منزلته وقدره ، ﷺ ، عندها وفى قلبها ، أما لماذا أشارت للسماء ؟ فقالوا بأنها كانت

---

(١) الغزالى : الاقتصاد فى الاعتقاد ؛ ص ٤٤ .

(٢) الغزالى : المصدر السابق ، ص ٤٤٧ .

(٣) رواه مسلم ١ / ٣٨١ ، ٣٨٢ رقم (٥٣٧) .

خرساء ، ولا سبيل للأخرس إلى تفهم علو المرتبة إلا بالإشارة إلى جهة العلو . وقد كان يظن بها أنها مشركة تعبد الأصنام ، فأفصحت عن سلامة معتقدها فى ربها بالإشارة نحو السماء لا إلى بيوت الأصنام (١) .

وقد كان البيهقى يثبت الجهة ومع ذلك يأخذ بالتأويل ، ومهما يكن فمن يثبت الجهة يفضى إلى المحال فى حق الله ، تعالى ، وكما قال القشيرى : إن الأمر مجرد تقريب الخطاب لأذهان الناس وأفهامهم ، أما ما جاء من آيات يوهم ظاهرها بالتشبيه ، فيمكن حملها على معان أخرى يقبلها السياق وترضاها اللغة (٢) .

وإذا جاز فى اللغة أن تكون الفوقية للمكان أو الرتبة ؟ فقد بطلت فوقية المكان فى حقه ، تعالى ؛ لتقديس ذاته عن المكانية ، ولم يبق إلا فوقية الرتبة يقيناً (٣) .

* * *

٣-المعيـــة:

ذهب جمهور السلف من المحدثين والفقهاء والصوفية والمتكلمين إلى تأويل المعية فى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ (٤) بالعلم والقدرة (٥) .

وابن قدامة (ت ٦٢٠هـ) فى رسالته « ذم التأويل » يذكر أن الضحاك ومالكا وسفيان الثورى وكثيراً من علماء السلف كانوا يؤلون قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ : أى هو معكم بعلمه (٦) . وكذلك قال البيهقى فى الأسماء والصفات (٧) .

* * *

٤-الإتيـــان والمجـئ:

قال الله عز وجل : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ (٨) وقال : ﴿ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ ﴾ (٩) قال القشيرى : يعنى الملائكة جاءت بأمره ..

---

(١) ابن فورك : مشكل الحديث ، ص ١٦٩ .
(٢) القشيرى : مصدر سابق ؛ ٣ / ٦٩ .
(٣) الغزالى : مصدر سابق ؛ ص ٥٠ .
(٤) سورة الحديد : آية ٤ .
(٥) د/ الطبلاوى : التصوف فى تراث ابن تيمية ؛ ص ١٤٣ .
(٦) ابن قدامه : ذم التأويل ، ص ٨٧ ، ٨٨ .
(٧) البيهقى : مصدر سابق ، ص ٥٤١ .
(٨) سورة الفجر : آية ٢٢ .
(٩) سورة النحل : آية ٢٦ .

obeikandi.com

أو يفعل الحق فعلاً فيسميه مجيئًا .

أما الآية الثانية فأولها بالعقوبة ، وقال : إن ما ذكره الله ، عز وجل ، هو على سبيل التوسع فى الخطاب على عادة العرب [١] .

ويقول الجوينى : ليس المقصود بالمجئ الانتقال والزوال ، تعالى الله عن ذلك ، بل المقصود مجئ أمر الله وقضاؤه الفصل وحكمه العدل .

ومن شائع الكلام التعبير عن الأمر بذى الأمر فى إرادة التعظيم ، إذ يقال : إذا جاء الأمير بطل من سواه ، وليس الغرض انتقاله ، بل المراد اتصال نوافذ أوامره وزواجره .

وإذا كان للتأويل مجال رحب ، وللإمكان مجرى سهب ، فلا معنى لحمل الآية على ما يقتضى تثبيت دلالات الحدث ؛ ومما يجب الاعتناء به معارضة الحشوية بآيات يوافقون على تأويلها ، حتى إذا سلكوا مسلك التأويل ، عورضوا بذلك السبيل فيما فيه التنازع » [٢] .

ومما يدل على أن الإمام أحمد لم يعرف عقيدة التشبيه التى تفشت فى أتباعه من بعده تأويله قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾ [٣] بقوله : المراد به قدرته وأمره [٤] .

وقد أطال ابن فورك فى تفسير الإتيان والمجئ وتلخيصه فيما يلى :

١- أظهر الله فعلا من جهته فى البنيان سماه إتيانًا ، ولله أن يسمي أفعاله بما شاء ، وأن يصف نفسه من ذلك بما أراد . وهو من قبيل الاستعارة التمثيلية ، وهو تفسير بيانى .

٢- جاء ربك : أى أمر ربك وحكمه .

٣- والإتيان فى قوله : إلا أن يأتيهم الله : أى بالعذاب .

٤- وفسر بعضهم : فى ظلل : أى بظلل ، وأن فى بمعنى الباء .

---

(١) القشيرى : مصدر سابق ؛ ٢ / ٢٩٢ ، ٣ / ٧٢٧ .

(٢) الجوينى : الإرشاد ، ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

(٣) سورة البقرة : آية ٢١٠ .

(٤) ابن الجوزى : مصدر سابق ؛ ص ٢٧ .

وختم هذه المقالة بنص رائع يقرر فيه أنه لا ينبغى التفريق بين القرآن والسنة فى تأويل النصوص وطريق التخريج فيها واحد ، وهو على حسب ما ورد فى الكتاب ، فالقرآن هو العمدة والأصل فى ذلك . وبما يليق بالله تعالى [١] .

* * *

٥-النــزول:

جاء فى الخبر عن النبى ، ﷺ ، أنه قال : « ما اجتمع قوم يذكرون الله ، إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، وتنزلت عليهم السكنية ، وذكرهم الله فيمن عنده » . ثم قال : « إن الله ، تعالى ، يمهل حتى إذا كان ثلث الليل الأخير ينزل إلى هذه السماء الدنيا ، فينادى هل من مذنب يتوب ؟.. هل من مستغفر ؟.. هل من داع ؟ .. هل من سائل ؟ إلى الفجر » [٢] .

إن النزول فى الحديث لا يعنى الانتقال ، والدليل على ذلك :

١- قوله تعالى : ﴿ **وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ** ﴾ [٣] .

ومعلوم أن الجمل أو البقر ما نزل من السماء إلي الأرض على سبيل الانتقال .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ **فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ** ﴾ [٤] .

والانتقال على السكينة محال .

٢- ما المقصود من نزول الله من عرشه إلى السماء ؟ هل ليسمع نداؤه ؟ فالله ، تعالى ، يمكنه إسماع من يشاء دون نزول أو نقلة ، ومن ظن ما لا يليق بربه فقد انتقصه .

٣- معلوم أن السماء أكبر من الأرض ، وكل سماء أكبر من أختها ، والعرش موضع قدم الله ، فكيف يتم النزول للأكبر من مكانه للأصغر ، وكل هذا كلام لا يليق بالله ويعنى التجزئ والجسمية ، وهو باطل على الله .

٤- فكرة النزول مع تغير الوقت على أجزاء العالم تعنى أنه فى الدنيا كل الوقت إلا أن يقال : إنه يستدير على ظهر الفلك [٥] !

---

(١) انظر ابن فورك : مشكل الحديث ، ص ٢٢٢ - ٢٢٦ .

(٢) متفق عليه .

(٣) سورة الزمر : آية ٦ .

(٤) سورة الفتح : آية ٢٦ .

(٥) انظر الرازى : أساس التقديس ، ص ١٤٤ ١٤٥ .

يقول ابن الجوزى : «إن الناس تجاه حديث النزول أحد رجلين متأول وساكت مع اعتقاد التنزيه والواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النقلة» [١] .

إن المشبهة يثبتون النزول حركة ونقلة من السماء إلى الأرض والعكس ، بما يلزم من ذلك الجسمية والحدوث ، والله منزه عن ذلك ، ويقول الكوثرى معلقًا على أحاديث النزول : «إنما تدل على نزول ملك ينادى ، لحديث النسائى ، فتعين الإسناد المجازى الموافق للتنزيه . فياويح الحشوية ما أغباهم فى فهم المعانى فى اللسان العربى المبين» [٢] .

ولكن ابن تيمية أثبت نزولاً حقيقيًا يليق بالله ، تعالى ، بلا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ، ويلاحظ أن الجملة متناقضة فمن أين كان حقيقيًا ثم هو بلا تكييف ؟ .. وكذلك قال ابن القيم ثم أبطل تأويل النزول من عشرة أوجه ، وبين أن مجيئه حقيقة ، وكذلك مجئ الملك حقيقى أيضًا [٣] .

والتساؤل الموجه لهذا الاتجاه ما معنى إثبات الشئ على حقيقته بلا إثبات لمقتضيات تلك الحقيقة ؟ وهل يجوز إثبات نقلة وجهة وتحيز بلا إثبات التجسيم أو التشبيه ؟ .

نعم من أثبت الصفات من السلف ومنها النزول أثبته بلا نقلة ولا حركة وكانوا أوعى وأكبر من الانزلاق فى مهاوى التشبيه ، أو الجمع بين الشئ ونقيضه أو بين التشبيه والتنزيه فى وقت واحد ويزيدون إنكار الكيفية مجرد شكل فقط .

والحقيقة لم يترك ابن تيمية مجالاً ولا طريقًا إلا سلكه من أجل ترسيخ هذه العقيدة فى نفوس الناس ، وحاول الإقناع بذلك بشتى الطرق ، فهل وقف السلف موقفًا وسطًا بين التنزيه والتشبيه ؟!.. أم مال السلف لحساب التشبيه ميلة واحدة ؟!

للبخارى كتاب فى الرد على الجهمية ، وفيه يقول ما يذكره ابن تيمية فى شرح الأصفهانية [٤] : «لا نقول لهذه الصفات كيف ، وكما شاء أن ينزل ، وكما شاء أن

---

(١) ابن الجوزى : مصدر سابق ، ص ٤٤ .

(٢) الكوثرى : هامش التنبيه والرد ، ص ١٠٨ – ١١٣ .

(٣) ابن القيم : مختصر الصواعق المرسلة ؛ ص ٤٥٢ .

(٤) ابن تيمية : الأصفهانية ؛ ص ٢٨ .

يضحك فليس لنا أن نتوهم أن ينزل عن مكانه كيف وكيف ، وإذا قال لك الجهمى : أنا كفرت برب ينزل ، فقل أنت : أنا أومن برب يفعل ما يشاء ، ويذكر عن ابن المبارك : إن الله ينزل كيف يشاء» (١) .

ومع أن هذا النص يدل على عكس قصد ابن تيمية ففيه دليل واضح على التنزيه والرد على النفاة ، إلا أن خطورة كلام الإمام ابن تيمية ، مع حسن مقاصده التى نسلم بها ، هو قدرة مؤلفاته على الإقناع وشيوعها ، وفيها خير كثير ، وله تأثير كبير على النفوس والعقول ، ولكن إثبات الصفات الخبرية الفعلية على ظاهره مع نفى التشبيه – من غرائب كلامه ، فصار ما يتوهمه العقل غير ما يقرره ويتصوره !

وإذا كان أهل السنة قد اتخذوا موقفًا وسطًا ، فأثبتوا الصفات مع عدم التسليم بالمعانى الدالة على التجسيم ومقتضياته ، فإن متأخرى الحنابلة تطرفوا فأثبتوها على ظاهرها بما تحمله من تجسيم (٢) ، وقد وقع بسبب هذا الموقف محن وفتن فى تاريخنا الإسلامى ، وددنا لو لم تقع وسادت روح من السماحة بين الجميع ، ولكن يبدو أن العوام يغالون فى نصرة المذاهب ويتولون إثم إثارة الفتن ، لأن الأصل بين العلماء الحسنى والود ، والجدل لا يخرج العلماء أبدًا عن وقارهم .

وللنزول فى اللغة معان منها ما يليق بالذات ، ومنها ما لا ينبغى تصوره ، مثال ذلك :

١– فى اللغة يأتى النزول بمعنى النقلة والتحويل .

٢– أو بمعنى الإعلام أو القول والعبادة .

٣– أو الإقبال على الشئ أو بمعنى نزول الحكم .

وما يليق بذات الله من هذه المعانى أن يكون النزول بمعنى إقباله ، تعالى ، على أهل الأرض بما فيه من الرحمة واللطف والعطف والتذكير والتنبيه (٣) .

وقد يكون عبارة عن فعل يظهره الله بأمره فيضاف إليه ، وهذا التأويل يكاد يكون قاسمًا مشتركًا بين الكثير من صفات الفعل التى أولها الأشاعرة (٤) .

---

(١) البخارى : خلق أفعال العباد ، ص ١٤ . بيروت ١٩٨٧ د . ت .

(٢) ابن تيمية : الاستقامة ، ١ / ٧٠ – ٧٦ .

(٣) الرازى : مصدر ساق ؛ ص ١٣٥ .

(٤) الجوينى : الإرشاد ، ص ١٥٠ ، ١٥١ .

٦- المحبـــة:

قـال تعـالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ (١) .

وقال : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (٢) .

وجاء فى الخبر عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ، ﷺ ؛ «إن الله ، عـز وجل ؛ إذا أحب عبداً قال لجبريل ، عليه السلام ؛ إنى أحب فلانًا فأحبه ، قال : فيقول جبريل ، عليه السلام ؛ لأهل السماء : إن ربكم ، عز وجل ؛ يحب فلانًا فأحبوه ، قال : فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول فى الأرض ، وإذا بغض فمثل ذلك» (٣) .

وعن سمرة بن جندب أن النبى ، ﷺ ، قال : «ما من الكلام شئ أحب إلى الله ، عز وجل ؛ من الحمد لله ، وسبحان الله ، والله أكبر ؛ ولا إله إلا الله ، هن أربع فلا تكثر علىَّ ، لا يضرك بأيهن بدأت ، ولا تسمِّ عبدك رباح ولا أفلح ولا نجيح ولا يسار» (٤) .

وعن أبى سعيد الخدرى أن وفد عبد القيس لما قدموا على رسول الله ، ﷺ ؛ فذكر الحديث – قال : ثم قال نبى الله ، ﷺ ؛ لأشج عبد القيس : «إن فيك خصلتين يحبها الله ، عز وجل ؛ ورسوله ، الحلم والأناة» (٥) .

ذهب أهل السنة والجماعة إلى القول بأن المحبة من صفات الفعل ومنهم من قال إنها من صفات الإرادة .

١– فمن قال بأن المحبة والبغض والكراهية من صفات الفعل فسر ذلك بأن المحبة تأتى بمعنى المدح له بإكرام مكتسبه ، والبغض والكراهية بمعنى الذم له بإهانة مكتسبه ، والمدح والذم قوله ، وقوله كلامه ، وكلامه من صفات ذاته .

٢– أما الإمام أبو الحسن الأشعرى فأرجع المحبة والبغض إلى الإرادة ، فمحبة الله المؤمنين ترجع إلى إرادته إكرامهم وتوفيقهم ، وبغضه غيرهم ، أما ذمه فعل من ذم

---

(١) سورة المائدة : آية ٥٤ .

(٢) سورة آل عمران : آية ٣٠ .

(٣) أخرجه البخارى ومسلم .

(٤) رواه مسلم .

(٥) رواه مسلم .

فعله ، فيرجع إلى إرادته إهانتهم وخذلانهم ، ومحبته الخصال المحمودة يرجع إلى إرادته إكرامه مكتسبها ، وبغضه الخصال المذمومة يرجع إلى إرادته إهانته مكتسبها[1] .

ولا يجوز وصفه ، تعالى ، بالعشق ، لأنه مجاوزة الحد فى المحبة ، ولا يوصف تعالى بمجاوزه الحد . كما لا يوصف العبد بأنه عاشق لله يقول القشيرى : «لو جمع محاب الخلق كلهم لشخص واحد ، لم يبلغ ذلك استحقاق قدر الحق ، سبحانه ، فلا يقال : إن عبداً جاوز الحد فى محبة الله ، فلا يوصف الحق ، سبحانه ؛ بأنه يعشق ، ولا العبد فى صفته ، سبحانه ، بأنه يعشق»[2] .

ويرجع عدم جواز إطلاق صفة العشق على الله ، عز وجل ، من قبل أهل السنة وغيرهم كالمعتزلة ، إلى أنها صفة تقتضى التشبيه والحلول ، وهو مستحيل على الله ، عز وجل .

وابن حزم الظاهرى يذهب لذلك الرأى[3] ، وهو صحيح لأن العشق من ناحية يقوم بتشبيه الخالق بأفعال خلقه ، ومن الناحية العملية يقوم على الملامسة والحلول ، وهو ليس كمثله شئ ، واحد متفرد بالصمدية والوحدانية المطلقة فلا يحتاج لشئ فيلامسه أو يحل فيه شئ أو يحل فى شئ فيباشره ؛ وهو لفظ بدأ فى بيئة التصوف الفلسفى الغالى ، وتجلت أقصى درجاته عند الحلاج والسهروردى المقتول وجهلة الصوفية .

* * *

٧-الرحمة:

قال تعالى : ﴿ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾[5] .

---

(١) انظر البيهقى : الأسماء والصفات ؛ ص ٦٣٧ ، وقارن الأشعرى : الإبانة ، ص ١٢٠ - ١٣٢ .

(٢) القشيرى : الرسالة القشيرية ؛ ٢ / ٦١٢ .

(٣) انظر ابن حزم : الفصل ، ٢ / ٣٤٢ .

(٤) سورة الأعراف : آية ١٥٦ .

(٥) سورة الأنعام : آية ١٣٣ .

وقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢١٨) ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ (٣) وقد جاءت صفة الرحمة فى كتاب الله معرفة ونكرة ومضافة إلى لفظ الجلالة وإلى الضمير العائد على الذات ، ومضاف إليها ، وذلك فى مواضع كثيرة .

وهى صفة أزلية قديمة وتفسير بمعنى إرادة الله رحمة عباده **بإرادة الإنعام والإحسان** إليهم ، وهو من ضروب التفسير البيانى فتسمى النعمة رحمة مجازاً ، والرحمة من صفات الذات .

ولكن إذا تعلقت الرحمة بأوصافها فهى من صفات الفعل . يقول القشيرى : « يجب على العبد أن يفر من فعله الذى هو بلاؤه إلى فعله الذى هو كفايته ، ومن وصفه الذى هو سخطه إلى وصفه الذى هو رحمته ومن نفسه حيث قال : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ (٤) إلى نفسه حيث قال : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ (٥) .

* * *

٨- الغيرة :

جاء فى الخبر عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ، ﷺ : **« ما أحد أغير من الله ، تعالى ، ومن غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن »** (٦) .

وعن أبى هريرة ، رضي الله عنه ؛ أن رسول الله ، ﷺ ، حدثهم فقال : **« إن الله يغار ، وإن المؤمن يغار ، وغيره الله ، تعالى ، أن يأتى العبد المؤمن ما حرم الله عليه »** (٧) .

---

(١) سورة البقرة : آية ٢١٨ .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٥٩ .

(٣) سورة الأنعام : آية ٤ .

(٤) سورة آل عمران : آية ٢٨ .

(٥) سورة الذاريات : آية ٥٠ وانظر القشيرى : شرح أسماء الله الحسنى ؛ ص ٣٧٥ . .

(٦) رواه البخارى ؛ ١٢ / ١٨١ حديث رقم (٦٨٤٦) .

(٧) متفق عليه ، رواه البخارى ، ٨ / ١٥٢ ، ومسلم ؛ ١٠ / ١٣١ .

الغيرة عدم الرضا ، والله يغار من مشاركة غيره معه : الغيرة كراهية مشاركة الغير معه فيما هو حق له ، تعالى ، من طاعة عبد له » . (١)

وقال أبو نصر بن قتادة فى قوله ، ﷺ : «**ما أحد أغير من الله**» أى : أزجر من الله ، والغيرة من الله الزجر ، والله غيور بمعنى زجور ، يزجر عن المعاصى » (٢) .

* * *

٩- الرضا والغضب :

جاء فى القرآن قول الله تعالى : ﴿ **رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(١١٩)** ﴾ (٣) .

وقال : ﴿ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ** ﴾ (٤) .

وجاء فى الخبر عن أبى هريرة أن رسول الله ، ﷺ ؛ قال : «**إن الله ، عز وجل ؛ يرضى لكم ثلاثًا ويسخط لكم ثلاثًا ، يرضى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ، وأن تناصحوا من ولى أمركم ، ويسخط لكم ثلاثًا : قيل وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال**» (٥) .

وعن عائشة ، رضى الله عنها ، قالت : « من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله الناس ، ومن أسخط الله برضا الناس وكله الله إلى الناس » (٦) .

وأهل السنة يقولون فى الرضا والغضب أنهما من صفات الأفعال لتعلقهما بصفاتهما ، وقال الشيخ أبو الحسن الأشعرى هما من متعلقات الإرادة ، فالرضا إرادته ، تعالى ، لإكرام المؤمنين وإثباتهم على التأييد ، والسخط أو الغضب إرادته تعذيب الكفار وعقوبتهم على التأبيد ، وإرادته تعذيب الكفار وعقوبتهم على التأبيد ، وإرادته تعذيب فساق المسلمين إلى ما شاء الله (٧) .

---

(١) القشيرى : الرسالة ٢ / ٥١٢ .
(٢) البيهقى : الأسماء والصفات ؛ ص ٦١٠ .
(٣) سورة المائدة : آية ١١٩ .
(٤) سورة المجادلة : آية ٢٢ .
(٥) رواه مسلم .
(٦) ذكره السيوطى فى الجامع الصغير ؛ ٢ / ١٦٢ ، وعزاه للترمذى ، ولأبى نعيم فى الحلية .
(٧) البيهقى : مصدر سابق ، ص ٦٤١ .

وبعد لعلنا قد وفينا قضية التنزيه فى الصفات الخبرية ، الذاتية والفعلية ، على مذهب أهل السنة حقها ، فقد أحسنوا بتأويل الصفات وحملها على معانيها اللائقة بها ، فاللغة مجازية ، وحمالة أوجه ، ودلالات الألفاظ كثيرة والحكم فى كل ذلك سياق الكلام ومنهج القرآن فى التنزيه ولا يلتفت لمن يشبه أو ينكر الحق جدلاً بالباطل، وكذلك لمن يتوقف حيرة ، أو لقصور فى قدراته أو من أجل السلامة .

لقد اتسم منهج أهل السنة فى الصفات بالوسطية والاعتدال والمرونة أيضا ، فقد أثبت الصفات وفسرها بأولى معانيها وأليقها وأحقها وصفًا بالذات المقدسة ، وجاهدوا جهاداً مجيداً ضد تيارات التشويه العقائدى من المجسمة والمشبهة الغلاة وأتباعهم ، وتحملوا تبعات الحوار والجدل ، وتصحيح عقائد العوام ، إذ العوام لا عقول لها فى أغلب الأحيان ويحبون الظهور والجدل بالباطل والانتصار على العلماء وإن ضاع الحق ، وضلوا هم أنفسهم .

يقول القرطبى المفسر (ت ٦٧١ هـ) : « الأكثرون من المتقدمين والمتأخرين ، أنه إذا وجب تنزيه البارئ ، سبحانه ، عن الجهة والتحيز ، فمن ضرورة ذلك ولواحقه اللازمة عليه عند عامة العلماء المتقدمين ، وقادتهم من المتأخرين : تنزيهه تبارك وتعالى ، عن الجهة ، فليس بجهة فوق عندهم ، لأنه يلزم من ذلك عندهم متى اختص بجهة أن يكون فى مكان أو حيز ، ويلزم على المكان والحيز ؛ الحركة والسكون للمتحيز ، والتغير والحدوث ، ثم يقول ، رحمه الله تعالى : « قلت : فعلو الله ، تعالى ، وارتفاعه : عبارة عن علو مجده وصفاته وملكوته »[1] . وهكذا أردت ختام هذا البحث بهذه العبارة الصريحة من إمام المفسرين فى عصره ليطمئن المسلمون على عقيدتهم فى ربهم وتنزيهه من كل شرك أو مثيل أو شبيه ، وتبقى عقائدهم نقية صافية كما أرادها الله أن تكون .

* * *

(١) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن .